الجلسة الثانية :

كلمة الافتتاح

لحضرة صاحب العزة الأستاذ الدكتور منصور فهمى بك

المدير العام لدار الكتب المصرية

صدر الإسلام عن وحى لم تعى له نفوس عرفت ما فى هذا الدين المتين من أصول روحية ، وكليات اجتماعية زاخرة بما يريح النفس ، ويزكيها فى عالم النفوس والارواح ، وبما يوافق الانسان ويسدد مسعاه فى عالم الحياة والاشباح .

ولم يلبث المؤمنون بصحة هذه الأصول أن سيروها فى جميع نظمهم الاخلاقية والاجتماعية من سياسية ، واقتصادية ، وادارية ، وثقافية . وعلى الجملة فى جميع مظاهر حياتهم النفسية والعمرانية . ففى داخل وجداناتهم وضمائرهم يتجاوب وحى هذه الأسس ، وفى البيئة الظاهرة المحيطة تشع بواعثها ، وحوافزها ، وأصبح العمل الاجتماعى فى امور الدنيا عند المسلم العارف بدينه متصلا بعالم العقيدة ، ومتفرعا عن أصول روحية ، مما دعا الفيلسوف الفرنسى "أوجست كومت" الى الإعجاب بهذا الدين وتمجيده حين رآه أظهر الأديان فى ربط العمل بالإيمان ، ومد شؤون الدنيا بروعة شؤون الروح ، وقداسة العقيدة .

ولعل من أشد ما عنى به الاسلام من أعمال الدنيا أمر الحكم . فبالحكم الصالح تسعد الأمم وتسود ، وكذلك أمر الأسرة ، فالأسرة الراقية هى الخلية الأساسية فى تكوين الأمة الراقية ، وكذلك اشتدت عناية الإسلام بحقوق الانسانية فى تقريب الناس بعضهم إلى بعض ، وربطهم بالمودة ، والتراحم ، والتآخى ، وإطلاق عقولهم ونفوسهم لتسبح حرة ما شاءت حول المعالم الثابتة التى وضعها الله لهداية النفوس والعقول ، وسيعالج رفاق هذه المسائل الليلة فى أحاديثهم التى سيلقونها عليكم بقدر ما قيدوا به من الزمن ، وقصارى القول أن الحياة القائمة على أصول الاسلام كونت فى عهوده الاولى دولا قوية ، مهيبة الجانب ، وأمما ذات ثقافة مميزة ، وحضارة مشخصة .

ثم مرت العصور تتلوها العصور ، وتعاقبت الأحداث تلو الأحداث الى أن صارت الأمم الاسلامية تستمد من أصول الحياة الاجتماعية الحديثة ، وتستلهم وحى الثقافة الغربية . بل أصبحت الأمم الاسلامية تقف من الغرب موقف المتأثر المتأسى ، بل موقف المستحدى الذى طالما يغفل ماضيه وحاضره ، ليأخذ عن ماضى الغير وحاضره .

على أن الأمم لا تفصل عادة عن تاريخها المجيد طويلا ، فلا تلبث عند يقظتها أن تتخذ الأسباب التي تثبت بها شخوصها الحق ، الصادر عن حاجتها وذوقها ونفسيتها ، وإيمانها بمكانتها من الانسانية .

وان من أهم عناصر هذه اليقظة في الأمم ما قد تنزع اليه من دعم استقلالها على مختلف أنواعه .

ومن أشد ما يبعث اليقظة ، ويمد في أسباب نهضتنا ، تعطشنا لاستذكار ماضينا الاسلامي المجيد ، فاستذكار أصول الاسلام ، و استعراض كلياته التي تفرعت عنها الثقافات والحضارات الزاهية ، و بمقارنة هذه الأصول والكليات بما يشبهها في المدنية الحديثة ، قد يستفاد للانتفاع بها جميعا في سبيل التقدم الصحيح والخير الشامل .

ولعل من يتتبع هذه المحاضرات التي تقوم بإذاعتها رابطة الاصلاح الاجتماعي ، يتيسر له الاقتناع بأن الاسلام يساير المدنية السليمة ، بل يجري على الترقي الحق ، والتقدم الصحيح ، وانه يتوفر لمنصف من هذه المحاضرات أن في الاسلام مرونة تجعل أصوله عند حسن دراستها وفهمها صالحة للإنسان في كل زمان ومكان . ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم "ما أخبرتكم به عن الله فخذوه ، وما أخبرتكم به عن نفسي ، فإنما أنا بشر مثلكم أصيب وأخطئ" . وإذ يقرر لنا المسلمين عظمة العقل ومجد العلم حين يقول "ان مداد الحكماء يوم القيامة" وحين يقول "ما خلق الله شيئا أفضل من العقل ، خلق الله العقل وقال له أقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر فأدبر ، فقال وعزتي وجلالي ما خلقت شيئا أحسن منك ، فبك أحاسب ، وبك أعطي ، وبك أمنع" .

وزيادة على ذلك فان الاسلام حين جاء لأهله بالأصول الروحية والاجتماعية قد استصلح لغرس هذه الأصول الكريمة معاني السلطان والنظام . فأزم الدين اتباعه بالتسليم حين يقول الله ، وأمرهم بالخضوع حين يأمر الله وينهى . "أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولي الأمر منكم" . ويصح لكل راع من رعاة المسلمين ، ولكل حاكم من حكامهم أن يطالب رعيته بالطاعة ، فيقول أحدهم للناس كما كان يقول السلف الصالح "أطيعوني ما أطعت الله فيكم" .

ولعله عند ما تعرض أصول المدنية الإسلامية مع أصول المدنية الحديثة التي لم تحقق للبشر كل ما كان يطمع فيه من سعادة ، لعله يصبح من الواجب على كل مفكر أن يستعين بتراث الإنسانية جميعا ، وفي مقدمته تراث الإسلام لكي يظفر من هذا التراث الشامل بما يحقق الإنسانية السعيدة والسلام .

منصور فهمي